الاميرة اعتماد الرميكية

بقلم الاستاذ الموفق سيدي محمد المختار السوسي

وله كتاب نفيس في مراكش المرابطية يشتمل على سلسلة لوحات وصور جميلة في عهد الدولة المرابطية، لعله ينشر عن قريب، وهذه صفحة من فصل في هذا الكتاب يتعلق بآل ابن عباد :

إن للادب بالاندلس في القلوب مكانة ، واستحواذا على النفوس استحواذا غريباً يدل على مبلغ الرقة التي اتصفت بها عواطف سكان الفردوس المفقود ، ومقدار الاريحية التي تتفجر بهـا مشاعرهم الفياضة فبينما المرء في الحضيض في منبت سوء ، وقد اعتورته الفاقة من كل جهة ، واكتنفته الازدراءات من كل جانب ، تقتحمه العيون ، وتنبذه صدور المحافل ، الى مخالع النعال ، اذ به من اجل معنى تفرط منه اجادته ، ونادرة يرسلها مصادفة ، من اعظم الناس تحنى له الجباه ، ويخر له الشعب اجلالا واحتراماً .

خرج ابن عباد مرة مع سميره ابن عمار في زي لا ينم عنها فوقفا بالوادي الكبير باشبيلية ، فهبت الريح على صفحة النهر فخططت فيه تلك الخطوط الرقيقة المتوازية كأنها الثنايا حول السرة ، من غضة بضة لما تكتنز لحماً ، ولم تمططها بعد السنون ، فقال المعتمد : « حاكت الريح من الماء زرد » ثم استجـاز رفيقه فارتج عليه ، ولكن غسالة في الضفة بادرت فقالت : « أي درع لقتـال لو جمد » .

فأية نفس لا تطير لهذه الاجازة الفذة ، وأي أديب يملك نفسه أمام الروعة التي يثيرها هذا التفوق الذي قلما يكون فيه للصدف نصيب ، فالتفت المعتمد وهو ماخوذ قد استحوذت عليه الاريحية ، وتملكه ثائر الاحساس الرقيق الذي يسترق الادباء في أمثال هذه المواقف فكاد الملك وقد تلفت قلبه قبل أن يتلفت طرفه أن يترامى على حسنـاء أفرغت في قالب الجمال ، وقد أدرك من بصرها اللماع انها هي المجيزة من بين صواحبها الواقفة عن يمينها وشمالها ، فبادرها بالسؤال ، فعلم أن الجميلة خالية من القرين وأنها جارية لرميك بن الحجاج وليس المعتمد من نعرف ان افلت هذا القنص من احبولته ، وهل فاز باللذات الا الفاتك اللهج ؟

طلعت اعتماد وهو اسم الرميكية في قصر اشبيلية ملكة تعرف كيف تاسر القلوب وتستولي على زمام المعتمد بلطفها واندفاعها وراء مباهج الحياة ومتعها اندفاعاً ان كان يروق للادباء الرقيقي الشعور الذين يرون من رحمة الله ما لا تغادر معه لذة ولا يعرض معه عن متعة فلا يروق للفقهاء الذين خلقوا للجد ووقفوا سياجاً دون الاخلاق يذودون عنها بكل ما أوتوا من قوة وما استطاعوا من دفاع .

جلس المعتمد في قصر من قصوره المشرفة على بسيط اشبيلية وقد أحب الاجتماع بقرة عينه اعتماد ، فوجه اليها يعرفها بذلك ويخيرهـا هل تجيء اليه أو يذهب اليها فكتبت اليه :

الوقت ـ راجع النزهة ـ ولا جرم أن التابع لدين من تعاليمه أن لايدخل الانسان الى محل فيه الطاعون ولا يخرج منه جدير أن يتوقى الامراض توقي السليم من الاجرب وأن يفر منه فراره من الاسد .

هذا ما تيسر جمعه الان والموضوع عظيم متشعب المناحي يستدعي وقتا طويلاً وبحثاً واسعاً ولعله تكون لنا عودة اليه أن شاء الله بأوسع من هذا بحوله وقوته .

محمد بن أحمد العبدي الكانوني

مراجع المقـال

المعجب ، نفح الطيب ، الاستقصا ، القرطاس ، التكملتان لابن الابار وابن عبد الملك ، النزهة ، النشر ، كشف الظنون ، درة الحجال ، تاريخ سيديليو ، حقائق الاخبار عن دول البحار والوفيات لابن خلكان ، والتشوف .

غرضي أن يكون منك وصول

بخطاً تسبق الرياح حثاث

ثم تعلو صدري وتحرث بطني

. . . . . يخط كالمحراث

واذا ما حصلت . . . فرضي

لم تدعني الى بلوغ الثلاث

فعمل المعتمد الى الخبيثة الخطا الحثاث ، وأبلغها الى الثلاث.

وأطلت مرة والثلج يساقط على شعف الهضاب ، وذلك نادر في مقاطعة اشبيلية فحنت الى تبديها الذي ألفته منذ درجت بين سمع البادية وبصرها ، وانحت عليه باللائمة حيث حرمها من التمتع بمناظر الطبيعة الساذجة ، بعد أن زجها في القصور مجاراة لنظام الابهة والترفع عن الاختلاف الى كل مكان ، فأمر المعتمد بغرس اللوز في حدائق القصر فلما اهتزت اشجاره ، وتتوجت اغصانها الخضراء ، بازهاره البيضاء ، أراها بذلك المنظر الذي يجسم الخيال الشعري أن بين مماشي غرفها من مناظر الطبيعة المتسقة ما لا يوجد له نظير فيما كانت تعهده من قبل ، وأطلت مرة اخرى فرأت نساء من البدويات يخضن في الاوحال ، وتذكرت ما كانت عليه أيام طفولتها وسذاجتها فتمنت أن تسترجع تلك اللذة العذبة وان تخوض كما تخوض البدويات فامر المعتمد العاشق الموله بالمسك والعنبر ففتا في ناحية من نواحي القصر بماء الورد فمالت هي وجواريها خوضا في طين الملوك لاطين الصعاليك ولكن لا أدري أوجدت ذلك الاستلذاذ القديم في طينها الجديد أم تعوزها غرارات الصبا وسذاجة الحداثة اللتان تسبلان على الايام الاولى من شرخ الشبيبة ما يتذكره من تقدمت به السن وتخطى العقد الثالث ، فتجري عليه اجفانه عبرات ، وتتطاير منه اضلاعه حسرات .

ونأى المعتمد عنها في بعض تنزهاته ، فحداه الشوق اليها وتأججت في صدره نيران الصبابة ، فكتب اليها رسالة ضمنها هذه الابيات الستة التي افتتح كل بيت منها بحرف من حروف اسمها :

أغائبة الشخص عن ناظري

وحاضرة في صميم الفؤاد

عليك السلام ، بقدر الشجون

ودمع الجفون وقدر السهاد

تملكت مني صعب المرام

وصادفت ودي سهل القياد

مرادي لقياك في كل حين

فياليت اني اعطى مرادي

اقيمي على العهد ما بيننا

ولا تستحلي لطول البعاد

دسست اسمك الحلو في طيه

وألفت فيه حروف «اعتماد»

على أن ام البنين الرميكية ماكانت لتدع لشهواتها وخلاعتها واستهتارها ، تربية اولادها ، وتثقيف عقولهم ، فقد ادت لهم ما هو فوق الواجب ، فاننا نرى من المامون والراضى والرشيد وبثينة[1] من الادب النادر ، وقول الشعر ، وخفة الروح ، وثبات الجاش ، ما يدلنا على أن المدرسة الاولى التي رشحوا فيها بهذه الخلال العالية قد عرفت من التربية مثل ما عرفت من مناجاة القلوب وسرائر الحب ، وذلك ما يجعلها امام التاريخ من نساء العالم اللاءي أدين ما عليهن نحو الازواج والابناء ، وقمن بما عليهن ولهن من حقوق .

(١) بثينة بنت المعتمد اسرت يوم الكائنة على أبيها فبيعت ثم تقلب بها الدهر حتى كتبت لابويها بقصيدة على يد خطيبها الى اغمات فأجابها بقصيدة اخري في مثل ذلك مما يذيب القلوب على الاسرة العبادية المنكودة .

على أنها من ناحية اخرى لايزال التاريخ بمختقها ، ويد النقد تاخذ بتلابيبها ، حيث جرت المعتمد الى الاستهتار ، حتى كان يترك الجمع ، وحتى كان يفتح ابواب المقاومة لرجال الدين الذين لا ينبغي لأيّ سياسي ولو كان نابليون ان يزعم ان القوة تكمّ منهم الافواه ، أو تغلهم عما هم بصدده من التضحية في الذود عن الدين ، والدفاع عن الفضيلة ، كما هو الواجب على كل من عرف ما للدين وللفضيلة في ترقي الانسانية ، وما للإلحاد والرذيلة في تدهور العالم [1] .

توترت العلائق بين اشبيلية ومراكش ، بعد ان قاد يوسف ابني باديس من غرناطة ، فقام الفقهاء وسراة الناس من اشبيلية يلحون على ابن تاشفين ان يضرب على يد المعتمد المستهتر المجاهر بالمنكرات وتبطيل الجمع فامضوا بذلك عقوداً مسجلة ، فحان حين المعتمد ودبّ اليه سيدي قائد مراكش ، فكانت الكائنة العظمى ، وسيق بعدها ابن عباد مع الملكة اعتماد الى اغمات حيث تتجهم لهما الحياة ، وتكشر في وجهيهما انياب الخطوب ، فكان ذلك اثر في الملكة فصارت تغاضب الزوج المنكوب ، وقد قالت له مرة وقد علا بينهما ما يبعثه ضيق الغربة وحرج الفاقة : ما رأيت منك خيراً قط ! فقال لها : ولا يوم الطين ؟ - يلوح الى يوم طين المسك في قصر اشبيلية - وبينما هما مرة اخرى يتعاطيان اطراف الحديث ، اذ قالت له : مولاي أين جاهنا ، فقال الملك المنكود من ابيات :

مولاي هنا ها هنا مولاي اين جاهنا ؟
قلت لها الاهنا صيرنا الى هنا

ثم كانها اجتوت اغمات ، وأثرت فيها مظاهر درن الذي يقول فيه المعتمد :

هذي جبال درن وكم بها من درن
فليتني لم أرها وليتها لم ترني

فما زال يلح بها الضعف حتى استلقت على فراش المرض فبذل زوجها جهده في علاجها واستدعى لذلك طبيب القصر بمراكش ابا العلاء ابن زهر فلباه بكل احترام وكان الاساء لم ينجح ، فالتحقت الملكة بربها وتركت وراءها من الألام ما انفرد به زوجها الذي لم يلبث أن التحق بها فدفن أزاءها ، وكاني به وقد اوصى بذلك ، قد تذكر قول الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
أخاف اذا ما مت ان لا أذوقها

محمد المختار السوسي

أشرف بقعة - وأقدس - بناحية مراكش

« تتمة المقال الاول »

من رجال القرن العاشر ما يستغرب سماعه وهو أن ابناً لأبي جهل بعد فتح مكة ورد على المغرب لناحية آسفي وسكن بها قال حكى ذلك أبو التقى صالح بن عبد الحليم وقال حدثني بنسبه اليه الشيخ الفقيه المسن ابو يعقوب الماجري ثم ساق عموده الى أبي جهل من جهة الولد المذكور ، ومثله في الغرابة ما ذكره ابن التلمساني المذكور في شرحه على الشفا ايضاً نقلا عن العالم الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي علي الحسن بن مخلوف الراشدي المعروف بابركان قال ذكر أبي عن شيوخه أن في غزوة الاحزاب سار فيها لنصرة قريش من جبال صدينه من المغرب الاقصى أربعون رجلاً أو فارساً ذكره أبو زيد الجزولي اه .

وهذا وان كان مما لم يألف الناس اليوم سماعه وربما يستبعدونه من جهة طول المسافة بين الحجاز وافريقية

(١) جمعت هذه الترجمة من ملوك الطوائف والنفح وتحفة العروس .

فانا نقرأ مثلا ان الحسن بن سعيد الخراط يقول ان عبد الله بن الزبير لما ذهب الى عثمان بالمدينة بخبر الفتح في افريقية وصل الى المدينة من سبيطلة في ثمانية عشر يوما، انظر معالم الايمان في رجال القيروان ، ص ٦ ٣ ج ١ . وسبيطلة هذه من القطر التونسي ، وجاء أيضاً في معالم الايمان ص ٤١ ج ١ . أن بين ثغر افريقية وهو طنجة وبين القيروان ثمانية ايام ، ويسهل عليك تصور هذا ان طرق البريد المنزعج هي غير مسالك المارة من الجيش العرمرم ، أفلا ترى انهم يقولون ان الامر من المنصور السعدي كان يصل من مراكش الى فاس في يوم واحد على طريق درن على الجمال العشارية .

فاذاً ليس هناك استبعاد وحيث ان الامر كذلك فنذكر ان المؤرخ النسابة ابن ابراهيم الدكالي الفاسي في سلسلة الذهب المنقود: قال وجدت بخط العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي أنكر والدنا ما يذكر من أن قبور بعض الصحابة بسوس بانه لم يوجد في تاريخ الصحابة وباستبعاد وصول الصحابة الى المغرب وقد كان به ودرنة ممالك للكفار ، قال كاتبه عبد الرحمن ثم وقفت في تأليف لابي علي صالح بن أبي صالح في القبلة وقد عد المساجد القديمة فقال منها المسجد المنسوب الى عقبة بن نافع الفهري على وادي نفيس بقرب دكالة ، قال البكري في الممالك وصل الى مدينة نفيس بقرب دكالة وبنى مسجده المعروف الى الآن فلا شك أن عقبة وصل الى وادي نفيس الخ. فانظر يتبين لك موت الصحابة هناك ودفنهم فالبعيد أن يكون جيشه وصل ثم لم يمت منه احد اهـ. كلامه .

وأبو علي صالح بن صالح الذي نقل عنه ما ذكر هو أبو علي صالح بن عبد الحليم نزيل نفيس الايلاني التاريخي الزاهد الورع ترجمه ابن القاضي في درة الحجال وقال كانت حياته سنة ٧١٢ .

وقد عقد أبو العرب التميمي في طبقات علماء افريقية ترجمة لمن دخل افريقية من الصحابة والتابعين ، أنظر ص ١١ ، وعقد الحافظ أبو زيد الانصاري الدباغ في معالم الايمان وابن ناجي في تهذيبه ترجمة لما نزل بالقيروان من الصحابة ، انظر ص ٣٠ الى ١٣٨ وترجم في الاستقصا بقوله ذكر من دخل المغرب من الصحابة مرتبة اسماءهم على حروف المعجم ص ٢٩ ج ١ فذكر منهم الحسن والحسين والعبادلة وقال اخرج ابن عبد الحكم عن سليمان بن يسار قال غزونا افريقية مع ابن جريج ومعنا بشر كثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار.

أما وصول عقبة الى وادي نفيس الذي ذكره البكري وابن عبد الحليم فقد قال الولي ابن خلدون في العبر وصل عقبة الى مدينة درن وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب وحاصروه بجبل درن ثم دوخ بلادهم ثم جاز الى بلاد السوس وانتهى الى تارودانت وهزم جموع البربر وقاتل حسومة من وراء سوس ودوخهم وقفل راجعا ، وقال الحافظ أبو زيد الدباغ القيرواني في معالم الايمان كان عقبة حريصاً في مغازيه بلغ الى سوس المغرب والى بلاد السودان وفتح سائر افريقية وودان وعامة بلاد البربر اهـ. منه ص ١٣. ج ١. وفي رحلة أبي علي اليوسي وهي من جمع ولده لما تكلم على ضريح عقبة وترجمته ويقال انه بلغ الى اقصى المغرب وبلغ وادي درعة واليه نسبت القرية المدعوة اعقبت بخميس تنزلين اهـ. ومن خطه نقلت وانظر معالم الايمان وتاريخ الجمان والاستقصاء في وصول عقبة وانه انتهى الى بلاد آسفي وادخل قوائم فرسه في البحر الخ. القصة .

هذا واذا ثبت بما ذكر ان هذا العدد من الصحابة دخل المغرب فما يمنع احدهم من الموت به وقد قاتلوا وفتحوا وتبدل عليهم الهواء والماء والطعام ، ولما قال أبوزيد الدباغ الانصاري في معالم الايمان لم يدفن بالمغرب وافريقية من الصحابة سوى أبي زمعة البلوي قال ابن ناجي عقبه في هذا نظر ثم ذكر عن شيخه أبي الفاسم البرزلي انه قال له لما حججت زرت قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقابس ، ونقلهم فيه متواتر بما ذكره المؤرخون انما هو ممن علموه وذلك يدل على أن غيرهم على خلاف ما لم يعلموا فالعمل على ما ذكره اهل قابس ولا قادح يقدح في نقلهم اهـ. كلام ابن ناجي ص ١١ ج ١ وهكذا القول في هؤلاء المصامدة الذين منهم يعلى ، وكيف يمكن للدباغ المذكور وغيره ان ينكروا دفن احد من الصحابة بأفريقية دون أبي زمعة البلوي رضي الله عنه وابن خلدون يصف في تاريخه مقتل عقبة بن نافع بتهودة (بسكرة اليوم) وانه لما انفصل عن المغرب تعرض له كسيلة وقد كان استصحبه معه في الجيش الذي فتح به المغرب فانفض عنه وقاتله بجيوش من البربر قال في عقبة واصحابه لم يفلت منهم احد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد ، قال ابن خلدون وأجداث الصحابة رضي الله عنهم واولئك الشهداء أعني عقبة وأصحابه بمكانهم من ارض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم اسنمة ثم جصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة قال وهو في عدد المزارات ومظان البركات بل هو أشرف مزور من الاجداث في بقاع الارض لما توفي فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مد احدهم ولا نصيفه واسر من الصحابة يومئذ محمد بن اوس الانصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر معهما اهـ كلام ابن خلدون ونقله في الاستقصاء ص ٣٩ ج ١ ، فهذا نص صريح في ان هذا العدد الذي مات من الصحابة مع عقبة كان معه في المغرب الاقصى ومدينة نفيس فهل كان هناك رصد لئلا يموت احد من الصحابة بوادي نفيس وبلاد المصامدة إن هذا عجب عجاب .

وهذه البقعة من مدينة نفيس هي التي ذكر ابن ابي زرع وغيره من المؤرخين أن الفاتح الاعظم المؤسس الاول في المغرب لاول دولة اسلامية مستقلة ـ مولانا ادريس أول ملك في المغرب ثبتت به دولة الاسلام واستقرت الى الآن ـ لما فرغ من بناء فاس أقام بها الى عام ١٩٧ فخرج الى غزو نفيس وبلاد المصامدة فوصل اليها فدخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع الى فاس اهـ ، ونحوه لابن القاضي في الجذوة وصاحب الاستقصاء تحت ترجمة غزو إدريس بن إدريس المغربين واستيلائه عليها ثم ذكر في الاستقصاء أيضاً أن محمد بن ادريس لما قسم بلاد المغرب بين اخوته اختص عبد الله منهم بأغمات وبلد نفيس ، وقد سبق عن ابي عبيد البكري أن صاحب مدينة نفيس حمزة بن جعفر من بني عبد الله بن ادريس ابن ادريس فعلى هذا تداولت ايدي بني عبد الله بن ادريس مدينة نفيس مددا ، وبعد دولة الادارسة دالت مدينة نفيس هذه وما بقيت تعرف الا بالرباط الذي بقي بها .

ولم يزل رباط شاكر هذا على اختلاف الاجيال والقرون تشد له الرحال من جميع نواحي المغرب وخصوصاً قبائل الحوز في كل ليلة ٢٧ من رمضان فتختم به عدة سلك القرآن ، وفي المنهاج الواضح في ترجمة الشيخ ابي محمد صالح دفين آسفي وهو من رجال القرن السادس ـ السابع انه كان لا يتخلف عن حضور موسم شيكر بوادي نفيس

ويذكر ما لاقى به ومن اجتمع به هناك من افراد العباد ، ونحوه لابن عبد العظيم الزموري في تاريخ بني مغار ، ولما تكلم أبو علي اليوسي في المحاضرات على المواضع التي وقع التغالي فيها بالمغرب قال ومنها رباط شاكر وهو مشهور وكان مجمعاً للصالحين من قديم ولاسيما في رمضان يفدون اليه من كل أوبة حتى حكى صاحب التشوف عن مينة الدكالية انها حضرت ذات مرة في رباط شاكر فقالت لبعض من معها انه حضر في هذا العام في الرباط الف امرأة من الاولياء ، فانظر الى عدد النساء فكيف بالرجال فلا شك ان هذا الموضع موضع بركة ومجمع خير اه ، ونقله برمته عالم مراكش المكي السرغيني دفين فاس في الكواكب السيارة وهو تأليف في جزء استفسر فيه خطبة السلطان أبي الربيع المولى سليمان في الزيارة وما أجدره بالطبع .

ونقل في سلسلة الذهب المنقود عن جواب للمفتي عبد الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريره جاء فيه لما تكلم على احد رجال رجراجة السبع وهو يعلى بن واصل قال مدفنه برباط شاكر بالمعمورة وهو أبو سيدي شيكر المنسوب اليه الرباط المذكور وما زال الناس بمراكش واعمالها يقصدون هذا الرباط في ليلة ٢٧ من رمضان يحضرون لختم القرآن بجم غفير من اخلاط الناس وبين الرباط المذكور ومراكش مسيرة يوم اه . ولا غرابة في اشتهار الرباط بشاكر مع دفن ابيه فيه المقول بصحبته لانه احد رجال رجراجة السبع ، والشهرة كالماء تفور من هنا ثم تغور وهي سنة الله في خلقه كشهرة زاوية الشيخ ابن ناصر بولده أبي العباس دون أبيه الذي هو الشيخ الاكبر للطريقة .

وبالجملة فالذي يرد اليوم على مشهد هذا الرباط الواقع على طرف وادي نفيس يرى مشهداً مؤثراً وبسيطاً ممتداً ومجاري ومناظر وتراباً ونباتاً وروابي اشبه شيء ببسيط ومناظر وتراب القيروان الذي به مسجد عقبة الى اليوم ، والمسجد الموجود الآن من بناء وتجديد السلطان مجدد الدولة العلوية أبي عبد الله محمد بن عبد الله رحمه الله فقد ذكر الزياني في الروضة السليمانية انه لما خرج في حركة عام ١١٧٨ في فصل الربيع خرج يقصد زيارة رجال ركراكة على عادته ثم عاد الى محل الرباط الشاكري قال فأمر بتجديده وحفر اساسه ، وفي الاستقصاء ص ١١٥ ج ٤ لما تعرض لهذه الزيارة : فأمر بتجديد مسجده وحفر اساسه وتشييده اه .

وقد قصدت زيارة هذا الرباط عام ١٣٤١ وأقمت به مدة في ذلك البسيط الباهض على ضفة ذلك النهر المنهمر واقرأت دروساً في هذا المسجد العظيم المهول في بنائه الواسع في اكنافه الممتدة صومعته تناطح السحاب واماليت به دروساً حديثية حضرتها امم من تلك الاصقاع من اتباع الطائفة الكتانية وغيرهم من حمير وما اليهم ولما رأيت اذ ذاك من اشراف المسجد على السقوط وتداعيه للهبوط المني ذلك فقاربت الخطى الى الرباط حيث السلطان المعظم المأسوف عليه المولى يوسف بن مولاي الحسن رحمه الله فقصصت عليه خبر المسجد المذكور والرباط ومدفن شاكر وابيه يعلى الرجراجي كما قصصت عليه في هذه المرة خبر المحل الذي فاضت فيه روح والده المولى الحسن رحمه الله بوادي العبيد حيث غسل وكفن وما آل اليه حاله ، ثم زرت هذا الرباط أول سنة ٥٤ فوجدت ان يد بعض الاصلاح قد عملت فيه بهمة اكبر قواد تلك الناحية النلسك الذاكر المتعبد القائد العربي بن الكوش نفعه الله بذلك ، وأخبرني هو وغيره ان السلطان العظيم الشأن المولى الحسن بن محمد كان ينتاب هذا الرباط كثيراً

وأكثر زياراته كانت على طريق الخفاء مريداً به التعبد والانزواء عن الضوضاء والجلبة ، ونحن بغاية الممنونية نلقي طلب احياء هذا الرباط وتجديد معهده على عتبة الابواب السلطانية والمراحم الملكية المحمدية لافتين نظرها الشريف الى بقعة اثرية جالت فيها يد الهدم والتخريب ومسجد اشرف على السقوط أو كاد بعد أن هبا البنيان وطوي بساط المدينة واندثر ولم يبق لها من أثر ، وسنعيد مرة اخرى الكرة الى هذا الموضوع بابسط من هذا ان شاء الله .

عبد الحي الكتاني

مراكش الحمراء

(بقية المنشور على صحيفة ٧)

وبعد انقراض الملوك السعديين قام بأمر المغرب بعدهم ساداتنا الاشراف العلويون قدس الله ارواحهم فاتخذ جلالة جدهم الاعلى السلطان الاعظم مولانا اسماعيل مكناسة الزيتون دار ملكه وبقيت كذلك سائر مدته ومدة اولاده الى ان جاء السلطان المرحوم سيدي محمد بن عبد الله الى مراكش واتخذها عاصمة ملكه وباستقراره بها سكنت الاضطرابات والفتن التي دامت في الغرب مدة ثلاثين سنة أي من وفاة السلطان المولى اسماعيل سنة ١١٣٩ هـ الى سنة ١١٧١ هـ التي بويع فيها بمراكش للسلطان سيدي محمد بن عبد الله فاعتنى بها أيما اعتناء وجدد قصبتها التي لم يبق بها الا القليل من آثار الموحدين والسعديين وبنى بها قصره العظيم المسمى الآن عرصة النيل وبنى المسجد الاعظم المجاور للقصر المسمى مسجد بريمة واحيا بستان اكدال وجلب المياه الكافية لسقيه وأتم سوره وادار سوراً بالقصبة وافردها عن المدينة وامر كبار قواده واعيان حاشيته ببناء دورهم بها الى ان صارت مدينة مستقلة ومن رأى قصور دار المخزن بمراكش علم مقدار اهتمام هذا الملك العظيم بهذه المدينة وزيادة على ذلك جدد ضريح الشيخ أبي العباس السبتي ومسجده ومدرسته وضريح الشيخ التباع ومسجده وضريح الشيخ الجزولي ومسجده وضريح الشيخ الغزواني ومسجده وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده وضريح المولى علي الشريف ومسجده الاعظم وضريح الشيخ ميمون الصحراوي ومسجد الملوك ببريمة ومدرستيه وجدد جامع المنصور والمسجد الاعظم بباب دكالة والمسجد الاعظم بالرحبة ومساجد القصبة ومدارسها الست ، وتولى بعده ولده السلطان العالم مولانا سليمان فاصلح قصور ابيه وزاد فيها وزاد في عمارة القصبة وجدد المسجد الاعظم الذي اسسه علي بن يوسف بن تاشفين وبنى منارته التي عليها مدار المدينة في التوقيت وبنى قنطرة وادي تانسيفت بعد سقوطها وبقي مهتما بامور مراكش الى ان توفي واقبر بها بضريح جده المولى علي الشريف وفيها عهد بالملك لابن اخيه المولى عبد الرحمان بن هشام فبنى مسجد الوسطى وجدد جامع المنصور بالقصبة ومسجد الكتبية وجامع حارة الصورة وجامع القنارية وجاء بعده ولده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فزاد في غرس اكدال وجر اليه المياه الكافية ووسع بركه حتى صار اكثر مما كان وجدد قصوره وأنشأ بستان المنارة المشهور بانشراحه وجمال قبته وكبر صهريجه رحمه الله ومن شاء استيعاب ما لهذا الملك من الآثار الحسنة فليراجع كتاب الجيش للفقيه أبي عبد الله اكنسوس المراكشي فقد أبدأ وأعاد .

واسس السلطان المقدس مولانا الحسن قصره المسمى بالدار البيضاء باكدال وجدد غيره من القصور ثم في عصر السلطان المرحوم مولانا يوسف ونجله جلالة ملكنا الحالي المنصور المؤيد سيدي محمد بن يوسف ازدادت عاصمة الجنوب ازدهاء وازدهاراً على سائر العصور بفضل اهتمام صاحب الجلالة باقتفاء اثر اسلافه وبوجود الانظمة العصرية التي ادخلتها الى جميع بلاد المغرب الاقصى الدولة الحامية الفرنساوية ونالت مراكش الحمراء منها حظاً وافرا ففي هذا العصر جدد جل الآثار التي خلفها المتقدمون ونظمت امور الاحباس وتحسنت املاكها وارتفعت ايراداتها من بضعة آلاف الى ملايين ووقع الاصلاح والتجديد في جميع المساجد وبالاخص الكبيرة منها المعدة لخطبة الجمعة البالغة اربعة وعشرين وكذا الصغيرة وانيرت مع مناراتها بالاضواء الكهربائية واصلحت عيون المياه الداخلة للمدينة حتى صار الماء لا ينقطع حتى في فصل الصيف الذي كان يقل فيه عادة فيها مضى وادخل ماء آخر جديد من ناحية وريكة في قنوات من حديد بعد تصفيته وتنقيته وقد وزعت انابيبه في غالب احياء المدينة وسيعم باقيها ووقع الاعتناء